عش مع القرآن – سورة آل عمران

الكمال لله-عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

www.markazalsalam.com
t.me/markazalsalam
+97150 8008875
info@markazalsalam.com
t.me/dropletsofdew
Al Salam Islamic Center

بسم الله الرحمن الرحيم
لا حول ولا قوة إلا بالله

عش مع القرآن
سورة آل عمران

22 يونيو 2022 | 24 ذي القعدة 1442 | الدرس # 12

المقدمــة

- في زمن الفتن نريد الثبات، ولكن مع الرحمة، والرحمة مشاعر نشعر بها من خلال الأقدار التي نمر بها، وجاء في الدعاء:

سورة آل عمران 8

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ

- وتبع الآية مباشرة ب:

سورة آل عمران 9

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ

- لأن الرحمة تجمع، والقسوة تفرق بدليل الآية:

سورة آل عمران 159

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ

- لأن الثبات ليس بالقسوة والجمود إنما بالمرونة، فمن أسباب الثبات أن تكون لدينا الرحمة.
- فاللّه يمررنا بالمواقف ليرحمنا ويرينا كيف يرحم الناس بعضهم بعضا.

سورة آل عمران 53

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ

- لما نشهد قصص الذين يشهرون إسلامهم، هذا من الثبات لنا في الدنيا على الإيمان والعمل الصالح.
- كما الموقف الذي مررنا به علمنا، {أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}، ولكن الإيمان لوحده لا يكفي للثبات، لأن الله لما يرينا المشاهد ليس فقط ليزيد الإيمان إنما هناك شيء آخر وهو "لتعبدون"، أي لما ترين موقف يعرفك باللّه يجب أن يخرج منك عبودية، مثال عليه لما رأى زكريا مريم:

سورة آل عمران 37
كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًاۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

- هذا جانب الإيمان، ولم يتوقف عند هذا إنما دعا الله:

سورة آل عمران 38

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۖقَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖإِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ

- استخرج منه الدعاء، معناه أي موقف نشهده ويزيد إيماننا هناك عبودية تخرج منا على حسب ما هي حاجتنا.
- مثلا زكريا لا توجد لديه الذرية فسأل الله الذرية، فكانت الهبة أن وهبه الله يحيى، وهذا من الثبات فنحن لا نعلم كيف يثبتنا الله (سبحانه وتعالى).
- مثلا لما أرى الله يرزق من يشاء بغير حساب أسأله أن يرزقني مثله أو أن يسهل مشكلتي فكل هذا فيه ثبات لنا.

في سورة الأحزاب 22

وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا

- الله يجعلك تشهدين مواقف ليزيد إيمانك، كما حين رأى سليمان النملة شكر ربه:

سورة النمل 19

وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ

- كذلك عبد المطلب لما عيروه بقلة أبنائه سأل الله أن يرزقه عشرا منهم ورزقه.
- أي مشهد نشهده يجب أن يستخرج منا عملا، وعلى الأقل الدعاء، على حسب ما حاجتي وما ينقصني، وهذا الذي يثبتنا.

- فهنا حققنا العلم والعمل، ليس أن أشهد موقف ولكن لا يستخرج مني شيئا.
- فالأقدار لها قدر لما نرى فقط أفعال الله، ولا نركز على أفعال الناس.
- "اللهم حبِّبْ إلينا الإيمانَ وزَيِّنْه في قلوبِنا، وكَرِّه إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ واجعلْنا من الراشدين"، ومن أسباب الثبات الإيمان، والله (سبحانه وتعالى) لما يمررنا بأقدار فهذا لزيادة الإيمان، ويجب أن يتبع الإيمان العمل الصالح فنأخذها كقاعدة في حياتنا.
- وفي القرآن أحيانا نرى آيات تخبرنا عن الله، وعن الرسل أي مجرد معلومات، ولا يكون فيها الأوامر، ولكن هذا لا يجعلني أتوقف عندها، إنما أسأل نفسي ما المطلوب مني؟ أي يجب أن يكون هناك التدبر بمعنى دبر الآيات، مثلا لما يخبرنا:

سورة ق 38

وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ

- هنا معلومات ولا يوجد أمر، ولكن يستخرج مني التحلي بالحلم والأناة، والدعاء "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل"، أي المطلوب منا الإيمان والعمل الصالح وهذا ما يثبتنا.
- وهناك آيات مثل:

سورة النساء 59

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

- هنا النداء بمعنى "ارعها سمعك يا مؤمن"، ووجوب العمل، ولكن حتى العمل أساسه الإيمان باللّه (سبحانه وتعالى). فالتدبر يكون وراءه الإيمان والعمل الصالح.

تدبر سورة آل عمران – الآية 5

سورة آل عمران 5 – 1

الم ﴿1﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿2﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿3﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿4﴾

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿5﴾

- وما سبق من الآيات من الآية 1 إلى 4 كلها ثوابت ومحكمات نرجع إليها في حياتنا.
- وذكرنا سابقا أنه بعد أن ظهر الحق، وصار الفرقان ظهر الكفر، {الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ}.

- {وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ}، لأنهم مشوا ضد عزة الله، ولم يرضخوا ويستسلموا لعزته، لذلك لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ، ليس من أجل العذاب إنما لأن اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ.
- بمعنى أي فعل وحكم من الله لا يكون عشوائيا، إنما هناك حكمة وراءه، ومعرفة أنه عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ يثبتنا فنرضخ لآيات الله.
- ثم يذكر {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}.
- إِنَّ ذكرت سابقا فقط في الآية، {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ}، إِنَّ أي بهذه الجزئية يوجد التوكيد. ومن الملاحظ في آيات التوكيد في القرآن أننا يجب أن نؤكد هذا المعنى بقلوبنا أكثر من أي شيء آخر، فقد يكون شبهة عند بعض الناس.

- مثلا في الآية {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ}، أن يستهين الكافر بالعذاب، أو أن يأمن مكر الله، فهنا يدل كذلك على عظمة الأمر كي لا يساورنا الشك أبدا
- وما يؤكد هذا الآية في نهاية السورة {لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ}.
- ثم تكرر ذكر إِنَّ في الآية {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}، هذه الآية بشكل عام بها تقرير أي تأكيد، وإثبات إحاطة علم الله بكل شيء في الأرض والسماء من المخلوقات، أعدادهم، أشكالهم، حياتهم، تصرفاتهم، وما بداخل قلوبهم.
- أيضا لما ذكر في الآية {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ}، فاللّه لا يخفى عليه قلوب الناس

فيعلم من هو الكافر، كي لا يظن أحدا أو يشك أن هناك شيء يخفى على الله.

- ولما يذكر {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ}، يختلف عن الآيات التي تذكر عن إحاطة علم الله بكل شيء، فلما يأتي النفي في الجملة معناه لا يوجد أي احتمال أن هناك ما يخفى على الله.
- مثلا في سورة الطلاق ذكر:

سورة الطلاق 12
وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا

- وهو نفس المعنى لكن السياق يختلف لأنها سورة الطلاق.
- ولكن في سورة آل عمران بيّنه بالضد أن لا شيء يخفى على الله.
- {إِنَّ اللَّهَ}، وهنا ذكر اسم الله أي الجامع لكل أسماء الله.

- الله (سبحانه وتعالى) الذي يحير العقول لا يخفى عليه شيء، فلما نعرف هذا ما الواجب علينا؟ محاسبة النفس، وأُفَعِّل صفة الله الرَّقيب فأراقب نفسي ولا أغفل، ولا أخفي شيئا.
- وما سبب الزيغ؟ كالذي يعمل بعمل أهل الجنة، ولكن فجأة يزيغ لماذا؟ لأن احتمال لديه شك بأمر ما، أو يخفي شيء مثل ذنوب الخلوات، فالاختبار الذي يختبرنا به الله في سورة آل عمران ليبين ما يخفيه الإنسان بقلبه، وهذا من خلال الأقدار والمواقف.
- لذلك من أسباب الثبات مراقبة أفكارنا، لأنها قد توردنا المهالك، لأن احتمال هناك شك أو شبهة بقلوبنا إن لم نعالجها ونشتغل على أنفسنا بهذه النقطة سنزيغ بوقت من الأوقات.
- لذلك جاءت هذه الآية كي نحذر مما نفكر به ونخفيه، لأن الثبات الحقيقي يكون من القلب فلا يكون به الشك والأمراض والشبهات، لأن من أسباب الزيغ الوساوس إذا لم أعالجها.

- والثبات ثبات القلب.
- مثلا نرى من هو بعيد عن الهداية ثم يتغير حاله للأحسن، وهذا بسبب قلبه. أنت لما ترين شكله تحكمين عليه أنه بعيد عن الهداية، ولكن لأن الله {لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ}، فاحتمال هناك ذرة خير بقلبه، أو إيمان.

سورة محمد 29

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ

- وهذا ما تبينه لنا السورة أن الفتن والابتلاءات والحروب تظهر حقيقة الناس، لذلك من بداية السورة وقبل أن ندخل في الآيات يخبرنا {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}.
- ولم يذكر لا يخفى عليه ما في صدوركم، ليبين لنا أنه لا يخفى عليه أي شيء، سواء ما نفكر به نحن، ما يفكر به الناس، وكل الأحداث

التي في الحياة، لذلك ليس من شأننا أن نركز عليها، أو أحكم، أو أتشمت بالناس، أو أقول المفروض أن يكون هكذا، أو لماذا يحدث هذا التجاوز، أو أخفي ما بقلبي من شك أو شبهة لأن كل هذا من أسباب الزيغ. لذلك يخبرنا {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}، الله يعلم أفعال الناس فلا حاجة لي لأحكم، ويعلم ما بقلبي فلا حاجة لأبين نفسي، أو أن أخفي شيء بقلبي.

- وكذلك لا يخفى عليه جهدا بذلته في الخير أو صبري وحسن خلقي.
- لأننا احتمال لا نركز على التوكيد في الآية، وأي توكيد يربي الإنسان.
- مثلا أنا لا أستطيع أن أراقب أبنائي أو أكون معهم طول الوقت، فكي يثبتوا دائما عليهم أن يعلموا {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}.

- وكُلٌّ على حسب مستواه، مثلا الصغير يثبت على صلاته، وكلما يكبروا يكون التركيز على أعمال القلوب وأمراضه من الحسد، والكبر.
- لذلك من أسباب الزيغ التدخل بتفاصيل كل شيء، والحكم على الأقدار.
- {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}، أي لا يخفى عليه شيء من المخلوقات، من الأرزاق، التدابير، فلا نقلق إنما نشعر بالراحة، لأن الزيغ في المواقف لما لا أصبر، ولا أوقع بقلبي علم الله.
- {شَيْءٌ}، والنكرة تفيد العموم معناه شامل كل شيء، وليس فقط الذنوب، لأن احتمال هناك من يريد الرزق فيزيغ بسببه، وينظر لغيره، ولماذا هو لا يوجد عنده.

- فبدل ما أدخل بهذه المواضيع، أوقّع بقلبي {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}، وبها سأغلق باب الوساوس، وسوء الظن، وأمراض القلوب.
- فهذه الآية مهمه جدا في التربية لوجود التوكيد فيها.
- لا يخفى عليه شيء صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، لأننا أحيانا نزيغ من أشياء صغيرة وأحيانا من أشياء كبيرة.
- فالآية تبين لنا أننا لا نعلم أي شيء، وعلمنا ناقص.

سورة الحجرات 16

قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ

- وهنا توكيد على علم الله الكامل وهو سابق القدر، فلم يذكر إن الله على كل شيء قدير ولكن درجة أعلى، {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ

شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}، أي من الأساس كل شيء محسوب ومُقدّر. فلا يقال:

سورة آل عمران 154

يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَاۗقُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ

- لما يخبرنا {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}، كي لا تكون هناك أي ثغرات فنعتقد أن هناك مكان أو شيء لا يعلمه الله.
- لأن علمه غير مقتصر على القدر فقط، إنما كل الاحتمالات المتعلقة بهذا القدر كي لا نزيغ وتراودنا الوساوس، وهذا من الثبات.
- ومن علم الله كذلك أنه يعلم ما الذي سيثبتك، وما الذي لن يثبتك، فلا يخفى عليه شيء.

- {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}، لأنه {يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ}، ليبين أننا نختلف عن بعضنا البعض في الطبائع والشكل، فنتقبل الآخرين بالشكل الذي صورهم الله فيه.
- وكذلك بالنسبة لتفاعلهم مع الأقدار والمواقف، كُلٌّ يختلف وهذا ما سنراه لاحقا في السورة، فلا أحكم أو أجادل الناس في تفاعلهم وإنما أتقبل الآخرين وهذا من الثبات.
- وعدم الثبات في عدم قبول الآخرين، والله (سبحانه وتعالى) له في خلقه شؤون فهنا لا دخل لي بأي شيء.
- {اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}، الحمد لله أنه أخفى عنا الكثير من الأشياء.

- وهذا كذلك من أسباب الثبات، لأن لو علمنا كل شيء لن نثبت ولن نتحمل.
- فمهما علمنا هناك أشياء لا نعلمها، وهذا من أسباب الثبات.

سورة طه 131

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ

- فلدينا حدود، ولكن إذا فضولي يخبرني يجب أن أعلم ماذا يوجد على الجانب الآخر، أو عند فلان هنا سأزيغ.
- أيضا الزيغ لما نعتقد أن غير الله يعلم كل شيء.
- {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}، في العلم والسمع، والبصر، وتدبير الأمور، أي إحاطة كاملة.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

التربية الربانية من هذه الآيات

سورة آل عمران 15

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ

- من أسباب الثبات أن نؤمن أن الله لا يخفى عليه شيء، ونحن يخفى علينا الكثير من الأمور.
- ومن الزيغ أن نظن أن غير الله يعلم، أو أن نحاول أن نعرف كل شيء.

المصادر

1. تفسير الشيخ السعدي
2. تفسير ابن كثير
3. تفسير الشيخ بن عثيمين

مصادر اضافية

الدروس السابقة في قناة تلغرام

هذه القناة لنساء والرجال

لطلاب العلم، والداعين، والمعلمين باللغة الإنجليزية

https://t.me/markazalsalampublicationsENG

لطلاب العلم، والداعين، والمعلمين باللغة العربية

https://t.me/markazalsalampublicationsAR

مدونات الدروس للأطفال

https://t.me/dropletsofdew

للمبتدئين في الإسلام

https://t.me/truthfulentry